

المحاضرة الرابعة في العقيدة: الأصول الثلاثة

يوم الخميس الموافق 26-7-2018

بشرح فضيلة الشيخ الاستاذ الدكتور/ طلعت زهران- حفظه الله
الدورة النسائية -مصر- الاسكندرية - العصفرة - جامع الامام مسلم

وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل:

الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرغبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل:

الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرغبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها الله تعالى.

أَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ كَثِيرَةٌ، فَمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَيْءٍ أَمَرَ اسْتِحْبَابٍ أَوْ أَمَرَ إِجْبَابٍ إِلَّا وَهُوَ عِبَادَةٌ، وَكَذَلِكَ مَا أَتَى عَلَى فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ إِلَّا وَهُوَ عِبَادَةٌ، وَمَا أَتَى عَلَى فَاعِلِيهِ أَوْ رَتَبَ الْأَجْرَ عَلَى فِعْلِهِ إِلَّا وَهُوَ عِبَادَةٌ.. فَالْعِبَادَةُ كُلُّ مَا رَضِيَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

التي أمر الله بها كلها الله تعالى.

أَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ كَثِيرَةٌ، فَمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَيْءٍ أَمَرَ اسْتِحْبَابٍ أَوْ أَمَرَ إِجْبَابٍ إِلَّا وَهُوَ عِبَادَةٌ، وَكَذَلِكَ مَا أَتَى عَلَى فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ إِلَّا وَهُوَ عِبَادَةٌ، وَمَا أَتَى عَلَى فَاعِلِيهِ أَوْ رَتَبَ الْأَجْرَ عَلَى فِعْلِهِ إِلَّا وَهُوَ عِبَادَةٌ.. فَالْعِبَادَةُ كُلُّ مَا رَضِيَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

مِثْلُ: الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ أَصُولٌ يَنْدَرُجُ تَحْتَهَا سَائِرُ الْعِبَادَاتِ ، فَكُلُ الْعِبَادَاتِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ سِوَاءٍ كَانَتْ عَمَلِ الْجَوَارِحِ أَوْ الْقَلْبِ إِنَّمَا تَرْجِعُ إِلَى هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ.

وهي: أنواع باعتبار أنها جنس، ويدخل تحتها

الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالْإِسْتِعَانَةُ، وَالْإِسْتِعَاذَةُ، وَالْإِسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: كَالصَّبْرِ وَبِرِ الْوَالِدَيْنِ وَصَلَةِ الْأَرْحَامِ وَالْجِهَادِ وَنَحْوِهَا.

والدليل قوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} الجن آية: 18، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر.

والمناسبة أن العبادة تفعل في هذه البيوت من الصلاة فرضاً ونفلًا والاعتكاف وقراءة القرآن ونحو ذلك أو أن يفسر هنا بأعضاء السجود وكلاهما مراد ولا مانع بحمل اللفظ على معنيين. {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}، الدعاء بمعنييه دعاء العبادة ودعاء المسألة. فالدعاء هنا بالمعنى الأعم ويكون مرادفًا للعبادة، فحينئذٍ نهى الرب جل وعلا في هذا النص بأن نصرف أي نوع من أنواع العبادة لغيره جل وعلا.

لا يجوز صرف شيء من هذه العبادات لغير الله عز وجل، ثم أكد هذا المعنى بقوله: (فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا) ولو شيئاً يسيراً من العبادة لغير الله عز وجل، فَهُوَ مُشْرِكٌ (الشرك الأكبر (كَافِرٌ) وهنا المصنف جمع بين اللفظين.

فهما بمعنى واحد، ولا ينبغي علي هذا الخلاف ثمة في الدنيا. فلا يُصَلَّى عليه ولا يَرِثُ، ولا يُورَثُ إلى آخره، وكذلك في الآخرة هو خالدٌ مخلدٌ في النار.

وإذا أطلق الشرك انصرف إلى الأكبر وإذا أطلق الكفر انصرف إلى الأكبر.

والدليل قوله تعالى: {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} المؤمنون آية: 117 وفي الحديث: "الدعاء مخ العبادة" الترمذي: كتاب الدعوات (3371)

الدليل على أن من دعا مع الله غيره مُشْرِكٌ كَافِرٌ:

{وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ} لا حجة له صحيحة {فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ} سيحاسب ثم نتيجة الحساب {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} مطلقاً ونفي الفلاح يدل على هلاكهم مطلقاً وأنهم من أهل النار خالدين فيها)

وفي حديث النعمان بن بشير: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ».

والدليل قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} غافر آية: 60.

بعدما قَعَدَ لنا قاعدة عامة أراد المصنف رحمه الله أن يستدل على كل لفظٍ ذكره من أنواع العبادات بأنه عبادة لأن العبادات توقيفية.

وقد لا يوجد في بعض العبادات إلا الأدلة الكلية العامة فنثبت أولاً وهذا لا بد منه أنه عبادة ثم نواكبهم على الأدلة العامة (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) وكذلك قوله: {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} إلى آخره {إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ}.

إذا الدعاء عبادة، والدليل قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}

أي حقيرين ذليلين صاغرين. وجه الدلالة أن الله سمي الدعاء عبادة فأمر بالدعاء ووعده بالإجابة. إذاً من صرف الدعاء لغير الله تعالى فقد وقع في الكفر.

ودليل الخوف قوله تعالى: {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} آل عمران آية: 175. الخوف عبادة ولا يجوز صرفه إلا لله تعالى. والمراد هنا خوف السرّ، وهو الخوف من غير الله عز وجل يعني من صاحب قبرٍ أو وليٍّ من الأولياء أن يصيبه بمكروه.

فَلَا تَخَافُوا مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ {وَوَخَّافُونَ} مفهومه إن لم تكونوا مؤمنين فلا تخافوني، فالخوف عبادة ولا يجوز صرفه لغير الله عز وجل، وليس المراد به الخوف الطبيعي الذي يكون من البهائم ونحوها والحيوانات أو الوحوش، وإنما المراد به خوف السرّ.

كما قال تعالى عن قوم هود: {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} [هود: 54] فهم يعتقدون أنها يخاف منها.

ودليل الرجاء قوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}. الكهف آية: 110

وَالرَّجَاءُ عِبَادَةُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو: يعني يطمع مع العمل، وأما أن يرجو ثواب الله ويأمل لقاءه ورؤيته تعالى دون أن يعمل فلا يسمى رجاءً شرعياً. وهو لقاء خاصٍّ بالمؤمنين لقاء الرضا والنعيم من الله سبحانه وتعالى.

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا: هنا رتب العمل الصالح على الرجاء، {وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}، أي لا يجعل مع الله تعالى شريكًا في عبادته، لذلك قال: {أَحَدًا} هذا نكرة في سياق النهي فيعم، حينئذٍ ثم عمومان في مثل هذه النصوص:

العموم الأول في الشرك نفسه قليله وكثيره.

والعموم الثاني في المُشْرِك به. الذي تصرف له العبادات يعني: سواءً كان ملكًا مقربًا أو نبيًا أو من دون ذلك من البشر أو المخلوقات.

ودليل التوكل قوله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} المائدة آية: 23. وقال: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} الطلاق آية: 3.

التَّوَكَّلْ عبادة لله عز وجل.

{وَعَلَى اللَّهِ} لا على غيره، تَوَكَّلُوا: كذلك دلّ النص على أنه لا يجوز صرفه لغير الله عز وجل. ولذلك قال: {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} جعله شرطًا لصحة الإيمان. فلا يصح الإيمان إلا مع وجود التوكل، والتوكل هو الاعتماد على الله عز وجل وتفويض الأمور إليه جل وعلا. ثم ذكر آية تدل على ثمره هذه العبادة القلبية العظيمة ... وقال أي عز وجل: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: 3]، أي كافيته. ومن كان الله كافيته فلا مطمع لأحد فيه.

وحقيقة التوكل يجمع شيئين تفويض الأمر إلى الله عز وجل وعدم رؤية السبب بعد عمله. إذا لا بد من الأمرين.

ودليل الرغبة والرغبة والخشوع قوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} الأنبياء آية: 90

جمع بينها لأنها متقاربة، فالرغبة رجاء خاص، والرغبة خوف خاص، والخشوع التظامن والذل. إذا كل منها قريب من الآخر.

فأثنى الرب جل وعلا على الأنبياء والمرسلين ومن صفاتهم ومساعدتهم الخير يدعوننا رَغَبًا في رحمتنا وَرَهَبًا من عقوبتنا وَكَانُوا لَنَا خَاضِعِينَ متذللين.

ودليل الخشية قوله تعالى {فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي}. البقرة آية: 150

الخشية خوفٌ يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علمٍ بما يخشى منه. {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: 28].

ولا تخشوا الناس فإنني وليكم، وأمر بخشيته وحده جل وعلا.

ودليل الإنابة قوله تعالى: {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ}. الزمر آية: 54

الإنابة: الرجوع للشيء مرة بعد مرة. قال بعضهم: الإنابة توبة مع رجوعٍ إلى حالٍ أحسن. فإذا تاب واستمر على التوبة وعدم مقاربة الذنب فهو منيب، فكل منيب تائب ولا عكس، فهي توبة وزيادة.

أنيبوا: أي أرجعوا إليه جل وعلا بالطاعة،

{وَأَسْلُمُوا لَهُ} أي أخلصوا له التوحيد. قال شعيب: {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}

ودليل الاستعانة قوله تعالى: {وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة آية: 5. وفي الحديث: "إذا استعنت فاستعن بالله". الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (2516) , ومسند أحمد (1/293, 1/303, 1/307) .

الاستعانة: طلب العون وهي تجمع أصليين اثنين كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الثقة بالله تعالى بأنه ناصره وكافيه والاعتماد عليه دون ما سواه.

{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} أي لا نستعين إلا بك.

فالعبادة قد يقصر عنها العبد لو ترك شأنه لا يستطيع أن يقوم بها على وجه الكمال، فحينئذٍ لا بد من معينٍ له ولا معينٍ إلا الله عز وجل.

وإذا استعنت فلا تستعن إلا بالله تعالى.

والمراد هنا الاستعانة فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، وإذا استعين بحيٍّ حاضرٍ قادرٍ فيما يقدر عليه فلا بأس به. **انتهت المحاضرة الرابعة**